

الفصل الرابع

فلسفتها وعش سعيها..!

Obaikandi.com

فلسفها.. وعش سهيدا

لماذا نفلسفها؟

إذا كان الصراع قد خلق مع الإنسان فقد خلقنا الله لنضع القيم والمبادئ ولنفسف الحياة لنعيش بها وسط الصراع. الإنسان الذى يعرف حقيقة إمكانياته الروحية والنفسية ويعتمد عليها يمتطيع النجاة من هموم العالم المتصارع الذى نعيش فيه، وليس المعنى أن نعتزل العالم ونعيش فى الخلاء المادى أو حتى الخلاء النفسى ولكن نقوم بدورنا كاملا فى المجتمع. إن الخوف بكل أنواعه والانغماس فى اللذات الحية وعدم الإيمان بالله وبالقوة الذاتية الكامنة بداخلنا هى أهم العقبات من أن تتولى الروح السامية قيادة الإنسان وأن تعمل الروح مع الجسد فى تناسق تام.

إننا لانتطيع أن نمنع الدول أو الأفراد من الصراع، ولكن يمكننا الخروج منه بأقل خسائر عن طريق تجنب الصراع الذى يمكننا التحكم فيه وهو الصراع الداخلى القائم بين الأنا وبين الرغبات الفطرية. يجب تجنب هذا الصراع الداخلى بقدر الإمكان، الصراع بين الغرائز المتضادة داخل الإنسان ذاته، كما يجب أن نعيش فى تناغم وتناسق داخلى قبل الدخول فى أى صراع خارجى.

هل نمتطيع فعلا أن نوائم الذات مع الآخرين؟. إن الذات وهى خلاصة تفاعل الصفات الموروثة والخبرات المكتسبة، مع قدراتنا المحدودة مادياً ونفسياً تفرض علينا سلوكاً معيناً وانفعالات معينة، تضعنا فى طريق معين قد يكون ضيق أو متسعاً، ولكنه فى جميع الأحوال طريق محدد، ومن جهة أخرى فإن الذات المحتوية على قوة الإرادة العقلية والروحية وبما لها من طموح تتطلع إلى الأعلى، ولاننسى الطرف الآخر وهو المجتمع المكون من أفراد ونظام.. نظام له محددات

معينة قد يجد من تطلعاتك وطموحك أو قد يساعدك، وأفراد تجد من قليل منهم التعاون ولكن أكثرهم لهم طموحات قد تتعارض مع طموحاتك، وأهداف لا تتقابل مع أهدافك.

هل نستطيع فعلاً أن نعيش في انسجام وتناسق مع الذات ومع المجتمع المحيط، فى كل حالة من حالات التوافق والصراع وبدون أن نمتحى من المجتمع ونهرب؟ نعم نستطيع ولكن بالطبع نحن فى حاجة إلى طاقة نفسية كبيرة. طاقة مستديمة، مثل بطارية السيارة إن لم تشحن باستمرار ستنتهى وستوقف أداؤها وفعاليتها.

هل نستطيع إدارة زوج من الخيل يقوم بجر عربة واحدة وإحدى الخيول من العقل والحكمة والآخر من العاطفة والغرائز، وقد يتعارض فى الاتجاه وجميح العاطفة فى غير اتجاه العقل لتجر جرة ورائها فى طريق السافلين، أو قد يسود العقل والحكمة ويعيش الإنسان كآلة مملأً كئيباً، نعم قد نستطيع أن نكبت العاطفة لحين أو أكثر من حين ولكن عملية كبت العاطفة تستلزم طاقة انفعالية كبيرة قد تنهى البطارية الداخلية للذات فنصاب بالاكنتاب والفصام والأمراض النفسية المدمرة الأخرى. وفى حالة ما إذا تركنا لخيول عواطفنا العنان فقد تحطم على صخر التقاليد و القيم و عدم قبول المجتمع لسلوكنا ومعارضته لنا.

لن أطلب منك أن تسير وراء عقلك وتلغى عواطفك وإلا ستصبح جماداً بلا قلب أو رحمة، ستحطم الآخرين من أجل مصدحك، ولن أطلب منك أن تقودك عاطفتك وغرائزك الشهوانية وإلا ستكون حيوان شهوانى يجرى وراء اللذة والمتعة فقط. لن أنصحك بأن تسير فى اتجاه الحكمة كل الوقت أو تعمل بنشاط وجد بدون راحة لتصل إلى ما تصبو إليه فلقد نصحك غيرى كثيراً، ولكن لماذا لا تجرب أن نكون عمليين ووسطيين ونجرب تطبيق:

- البحث عن مصدر دائم لشحن بطاريك الانفعالية.

- أن تدير خيولك المتنافرة لتسير فى الاتجاه الذى تريده فى تناسق و انسجام بدون ضرر لنفسك أو المجتمع من حولك.

وهنا يبرز سؤال: أين نجد المصدر الدائم لشحن بطارياتنا العاطفية الانفعالية؟ إن المصادر كثيرة ولكن بالطبع مطلوب بعض الجهد على الأقل فى بداية طريق التجربة، قد يختلف مصدر الشحن وقوته من فرد إلى آخر ولكن يوجد دائماً مصدر للشحن.

العقيدة والوازع الدينى مصدر هام وسريع وسهل الحصول عليه، علم التحليل النفسى والسلوكى مصدر آخر، كتب الحكمة والروايات التى تحكى قصص وتجارب غيرنا ممن مروا بنفس ظروفنا أو ظروف مشابهة، العمل فى مجال آخر بعيدا عن المشكلة، الترويح عن النفس لبعض الوقت، السفر أو تغيير المكان، الأصدقاء الأوفياء وإن ندرروا فى الزمن الحالى، السمو بالنفس عن الصراع المادى، المصادر المتاحة كثيرة ولكن المهم أن تجد المصدر الملائم لك... لطبيعتك كإنسان ذو نسيج مختلف عن غيره، أما عملية تعلم فن إدارة خيولك المتنافرة فهى تتطلب منك أن تتعلم بعض من علوم الاجتماع وعلم النفس وكذلك القواعد والأسس المتعلقة بفلسفة الحياة والاقتصاد وتقييم الأشياء والحصول على معظمها والإقلال من الخسائر. قد يكون خير الأمور الوسط هو الحل لبعض الناس أو قد تكون المخاطرة والمغامرة هى المطلوبة للبعض الآخر، المهم أن تختار مايناسبك وألا تندم على الاختيار.

(اعقلها وتوكل) فلكل إنسان بصمة تختلف عن الآخرين. قم بتخزين خبرات وتجارب الآخرين وخذ منها مايلئم طبيعتك وذاتك الداخلية، المهم أن تصل إلى السعادة وهى داخلك، منك وإليك فى أى زمان وفى أى مكان وفى أى ظرف.

إن نظام الكون مبنى على التغير الدائم فلا شئ ثابت. إذا رجعنا فى التاريخ إلى ماضينا الموثق سنجد حضارات أخرى فى أماكن أخرى عاشت سنوات طويلة ثم اندثرت، فأين الحضارة المصرية القديمة التى امتدت على مدى آلاف السنين؟ وأين الحضارة الهندية والصينية؟ أين الحضارة البابلية والآشورية؟ وأين الحضارة الأفرقية والرومانية؟ كم من ملوك وأمراء وأصحاب جاه وثروة بلغوا

القمة وملاهم الغرور وحسبوا أن المال والقوة دائمين؛ ثم انتهى كل شئ بانتهاء المال والقوة أو بانتهاء صاحبها وأصبح كل شئ ذكرى وتاريخ معلوم أو مجهول فمات هامان وقارون وأسماء أخرى لانعلمها ولاندرى عنها شيئاً، فالنظام الذى نعيش فيه مبنى على أساس التغير وعدم الثبات، نحن البشر نعلم ذلك ولكن قليل منا من يتعلم من ذلك.

يتحدث بعض الناس عن الحقيقة، ماهيتها وكونها وإن كانت خارجنا أو داخلنا وعن فلسفة الكون وفلسفة الوجود وبصيرة الروح وسمو النفس وإلى آخره من كلام المترفين مادياً وعقلياً، فالمترف يحاول دائماً أن يشغل نفسه بأشياء ليس لها حل كسرا للملل وملئا للفراغ. يمكننى أن أمتع بالكون بدلا من هذه الحيرة والسؤال عن فلسفة وجوده، إذا فرضنا أن إمكانيات العقل البشرى محدودة فلماذا نشغل بالنا بأشياء نسبية وغير محدودة وغير معروفة مثل الكون والحقيقة وفلسفة الوجود. فمتى كان الكون محدوداً ونحن لانعلم شئ عن بدايته أو نهايته ومتى كانت الحقيقة محددة ويتصارع الإنسان مع أخيه الإنسان على مدى التاريخ، وكل منهما يعتقد أنه على حق. نعم القتل إثم وخطيئة؛ ولكن كم من حروب اندلعت وانتهت بدون أن نعرف أى الطرفين على حق أو من كان المخطئ. لقد اختلفت العقائد والقيم ودافع كل إنسان عن عقيدته وقيمه ولم يصل أى من الأطراف إلى اتفاق. إذا كنا لانستطيع أن نجزم بصحة إشاعة انتشرت فى الوقت الحاضر فكيف نجزم بصحة ماحدث فى الماضى. لقد وجدنا فى هذا الكون فى وقت معين على هيئة معينة بتركيب معينة ونظام معين فلنعش حياتنا فى سعادة، بدون فلسفة فهذه هى قمة الفلسفة. لقد وجدت الأساطير منذ قديم الزمان وتورثناها وصدقها معظم الناس حتى أصبحت جزءاً من عقيدتنا وثقافتنا كما أصبحت جزءاً من كياننا بدون أن نتحقق من صحتها، وتغلغلت فىنا قصص وروايات من كاتب أو شاعر مشهور أو مغمور له خيال عاقل أو خيال مهبول... الله أعلم.

بدلاً من كل هذه السفسطة لماذا لانسير فى الطريق بدون أن نشغل أنفسنا بما مضى أو بما سيجى، وبدون أن نشغل أنفسنا بالبحث عن حقيقة مجهولة. كل منا له ذات مختلفة عن الآخر، وكل منا ينظر إلى الشئ المجرد بمنظار مختلف عن الآخر، لقد تكوّن هذا المنظار مماورثناه ومما تعلمناه، نحن ننظر إلى المجرد بمنظارنا الخاص وعليه لن نرى الحقيقة المجردة ومادام الأمر نسبى فلماذا نشغل بالنا بهذه الأمور، إلا إذا كنا مترفين ولدينا من الوقت والجهد مايسمح للخوض فى أمور ليس منها نفع أو من ورائها طائل.

سنتناول باختصار فى الجزء القادم عرض بعض الفلسفات التى يتعايش بها البشر، بما فى هذه الفلسفات من تضاد وتناقض، فالفلسفة القدرية تؤمن بقوة القدر التى تسير الكون والكائن الحى الذى ماهو إلا لعبة فى يد القدر، فالإنسان مسير، ولد لايعرف لماذا، سائر لايعرف إلى أين، يصارع لايعرف ما الهدف من صراعه، تنتهى القصة بالموت بدون أن يعرف الإجابة عن من أين جاء وما المصير.

ومن الفلسفات الأخرى التى يعيش بها قليل من الناس فلسفة اليوجا التى تؤمن بالحب والتسامح كما تدعو إلى العمل الشاق بدون طمع أو طموح أى بدون انتظار عائد مادى أو حتى معنوى، فلسفة تقوم على سمو الإنسان على شهواته والاستمتاع فقط بالمباهج البريئة التى لاتضر النفس أو الغير، فلسفة كادت أن تتلاشى وتقرض فى عصر الحضارة الغربية الحديثة التى نعيشها فى زماننا الحالى.

وعلى النقيض الآخر توجد الفلسفة النفعية المبنية على مبدأ الوصلية الميكافيلية التى تدعونا إلى التظاهر بالتقوى والإيمان ولكن بداخلنا بركان وهم من القسوة وعدم التسامح، فلسفة تقوم على الضن والإمساك، فلسفة تسقط الوفاء من سلوكنا لأن الآخرين ليسوا بأوفياء، فلسفة تؤمن بأن الرحمة ضعف وأن القسوة قوة وأن بالسيف والدهاء تتسلط على الآخرين.

قد نعيش طوال حياتنا على مبدأ أو فلسفة واحدة وقد يعطف مسار شخصيتنا من النقيض إلى النقيض فالنظام مبنى على التضاد والتناقض والتغير، مبنى على أقصى الأطراف وما بينهما من خير وشر، من سعادة وتعاسة، من قسوة ورحمة، من عمل وراحة.... الخ. المجال واسع والاختيار موجود والذكاء متفاوت والقدرة محدودة والحياة تسير.... ولكن إلى أين تسير.. لست أدري.

كانت موعظة بوذا الأولى تتمثل في شرح الحقائق الأساسية وهي أن الإنسان يعيش في معاناة وأن هذه المعاناة لها أسبابها وأنه يمكن التخلص من المعاناة من خلال التخلص من أسبابها. لقد اختلفت أسباب المعاناة من شخص لآخر فكثرت المذاهب الفلسفية واختار كل إنسان الفلسفة التي تلائم ذاته للسير في هداها ودافع كل منا عن أفكاره وفلسفته.. إنه الصراع في صورة أخرى.

قال العرب قديماً: ليس الحكيم بسيد على قومه ولكن سيد قومه المتغابي. طبقت بعض الشعوب الشرق أوسطية حديثاً هذه الفلسفة بعد تطويرها وصقلها وأصبح لها رواد وأساتذة ومعلمين وسميت بالفلسفة التحامرية نسبة إلى الحمار. إذا لم تكن غيبياً فتحامر فهذا هو قمة الذكاء. بعض المجتمعات والنظم المتخلفة الغير ديمقراطية لا تريد منك أن تفكر وتبدع، تريد فقط الرياء والنفاق وعبادة اللوائح والروتين، فلماذا لا نريح أنفسنا ونريح الآخرين ونسير على هداهم، فلسفة ليست جديدة ولكن يعيش بها حتى الآن كثير من الناس. فلسفة انتشرت في مجتمع الملوك والعبيد في مجتمع السيد والمسود، في مجتمع فرعون وكهنة آمون وآتون.

* * *

الفلسفة القدرية

فى بعض أوقات الصفاء الذهنى كنت أحلم بأنه لو قدر لقدماء المصريين ويهود ما بين النبى يوسف والنسبى موسى ألا يتنابدوا، وأن يتعايشوا ويتزاوجوا لاختلفت مشكلة الشرق الأوسط من قديم الزمن.. لقد انصهرت أجناس كثيرة فى النسيج المصرى منذ تاريخها المكتوب من رومان ويونان وأتراك وأوروبين وآسيويين فلماذا لم ينصهر الشعب اليهودى بالرغم من أنه عاش مئات السنين فى أرض مصر، إنه القدر.

لقد استولت القوة البحرية العمانية على الساحل الشرقى لإفريقيا منذ حوالى قرنين من الزمان وعاش العرب فى الصومال وكينيا وتنزانيا وحتى سواحل موزمبيق، ولكن للأسف لم تكمل البحرية العمانية المسيرة جنوباً ثم غرباً إلى العالم الجديد فى الأمريكتين وأستراليا ونيوزلاندا. كان من الممكن أن تتكلم هذه الدول اللغة العربية الآن ونقوم نحن العرب بإنشاء مايسمى باتحاد الناطقين باللغة العربية أو إنشاء ماقد يسمى بالوحدة العربية فيما وراء البحار، ولكن السؤال الذى قد يطرح هل كانت هذه الدول الجديدة ستصل إلى الحضارة التى تعيش فيها الآن أو كانت ستنهل من عقائد وثقافات الشرق الاوسط؟، لا أحد يعرف ولكن القدر قد خط خطوطه وانتهى هذا الجزء من التاريخ.

لولا رقدة العالم إسحق نيوتن على ظهره تحت شجرة تفاح فى لحظة تعب وتأمل وسقوط تفاحة بطريق الصدفة؛ ماكان اكتشاف قوانين الجاذبية الأرضية والحركة أو على الأقل كان تأخر اكتشافها. ولو ما جلس الأمير الهندى سيدهارتا فى لحظة صفاء وتأمل تحت شجرة تين؛ ما كان تحول إلى بوذا ومانشأت الديانة البوذية التى يدين بها أكثر من مائتين وخمسون مليون نسمة. القدر أو مايعرفه البعض بالفرق ما بين القوى الإلهية العظمى والقوى التى نطن نحن البشر أننا

تمتلكها ونؤثر بها فى هذا الكون، كما يعتقد البعض الآخر بأن القدر هو كل شىء، هو النظام الذى نعيش فيه والذى خلقه الله فى صورة كاملة متكاملة، نظام محسوباً خطواته ومعروفة نتائجه. قد يحلو لبعض الناس أن يرجع العشوائيات أو عدم النظام إلى القدر ولكن القدر هو كل شىء، النظام وأيضا مايسميه هؤلاء بعدم النظام، إنه النظام كله بما فيه من تضاد وصراع وبما فيه من حب وجفاء ومن سعادة وشقاء، نظام له بداية وله نهاية، نجعلها ولكن الله يعرفها فهو الخالق القادر.

تعتبر الفلسفة القدرية من أقدم الفلسفات، فقد أرجع الإنسان القديم الأحداث التى لم يتمكن من تفسيرها أو التحكم فيها إلى القدر، وعاش الإنسان سعيداً بتفسيره للقدر والقدرية، فعندما يكون الإنسان ضعيفا أو عاجزا أو فاشلا فى تحقيق هدف يبغيه أو مريضا ملتمس الشفاء من معلوم أو من مجهول فلا مانع من أن يرجع ضعفه أو فشله أو سبب مرضه إلى القدر مادام سيسريح نفسيا، إنه جزء من العلاج النفسى الذى أكتشفه الانسان الأول أو زرعه فيه القدر. لقد عبر عن ذلك الفيلسوف الألمانى هيغل بقوله: (أن التصالح الحقيقى مع القدر لا بد من أن يكون بمثابة تكيف مطلق مع الأحداث الخارجية).

لن نأخذ من الشاعر الفيلسوف عمر الخيام نظراته التشاؤمية ولكن دعنا نأخذ منه الحكمة فهو يدعو إلى القناعة والرضا بحكم القدر ومعاملة الناس بالتسامح والحب فلا يوجد إنسان كامل فى هذا الوجود. لقد كان الخيام كما قال الشاعر أحمد رامى فى ديوانه جبريا يعتقد أن الإنسان تسيره قوة خفية لايملك دفعها ولا تدع له فرصة للاختيار، دعى الخيام إلى التمتع بالحياة ونبذ البؤس والشقاء فالقدر مكتوب ولن نستطيع أن نغيره.

دعنا نخرج من رتم الكتابة الثرية إلى قليل من الشعر ففى الأبيات التالية يمكننا التعرف على فلسفة الخيام بالنسبة للقدر والرضى على أحكامه والبعد عن الهم الذى يزيد الألم بدون أن يغير ما خطه لنا القدر.

ونحن فى قبضة كف القضاء نلبس بين الناس ثوب الرياء
فكان مسعانا جميعا هباء وكم سعينا نرتجى مهربا

ويافؤادى تلك دنيا الخيال فلا تنوء تحت الهموم الثقال
وسلم الامر فمحو الذى خطت يد المقدار أمر محال

الله قد قدر رزق العباد فلا تؤمل نيل كل المراد
ولاتذق نفسك مر الأسى فإنما أعمارنا للنفاد

تفتح واجلس قانعا وادعا وانظر إلى لعب القضاء بالبشر
الدهر لا تجرى مقاديره بأمرنا فارض بما قد حكم

لن يرجع المقدار فيما حكم وحملك الهم يزيد الألم
ولو حزنت العمر لن ينمحي ماخطه فى اللوح مر القلم

لا توحش النفس بخوف الظنون و اغنم من الحاضر أمن اليقين
فقد تساوى فى الثرى راحل غداً وماض من ألوف المنين

لم تمر الفلسفة القدرية على بلاد الشرق فقط، فيمكن لمس الفلسفة القدرية العبثية من خلال أسطورة سيزيف التى حكمت الآلهة الإغريقية عليه بأن يدفع حجر ضخم إلى قمة الجبل، وكلما وصل إلى أعلى الجبل دحرجت الآلهة الحجر إلى السفح ليدفعه سيزيف مرة ثانية إلى القمة. كان هذا قدر سيزيف فى هذه الدنيا، أقصى درجات الألم النفسى من عبث فلسفة الوجود فى هذه الحياة، لقد

قدر له أن يعمل عملاً لافائدة منه، عمل معروف بدايته ونهايته، عمل ممل لا طائل منه مثل الحياة كما تقول الاسطورة، فالنظام الدنيوى مبنى على حياة كلها تعب وصراع تنتهى بالموت لتبدأ نفس القصة من خلال إنسان آخر يولد ليكد ويموت.

فلنبعد كثيرا من الطرف التشائمي للقدرية إلى الطرف التفائلي منها، فكما يجي لنا القدر بالشقاء يجي لنا أيضا بالسعادة. إذا تأملنا مجريات حياة أى إنسان سنجد الدورة كاملة - أعلى وأسفل - سعادة ثم تعاسة ثم سعادة مرة ثانية وهكذا تسير الحياة، قد تختلف من إنسان لآخر مقدار السعادة ومقدار التعاسة وقد تختلف مدة الشعور بالسعادة أو بالتعاسة؛ ولكن الدورة موجودة عند كل إنسان منذ البداية وحتى النهاية، فهذا هو النظام القدرى.

توجد عوامل كثيرة لاتباع الإنسان لمذهب القدرية، فالمكان عامل مهم للإيمان بقوة القدر الذى لا يمكننا التحكم فيه، فسكان الصحراء يعتمدون على المطر لرى زراعتهم وإخماد نار ظمئهم، وقد يتأخر هطول الأمطار فلا يجد ساكن الصحراء إلا الانتظار والدعاء والتمسك بأمل أن يستجيب القدر أو القوة العظمى إلى دعائه، إذا نزل المطر فهذا يرجع إلى رضاء القدر عنه، وإذا لم ينزل فالسبب فى الإنسان الذى مارس الخطيئة (ومن منا بلا خطيئة) ولم يرض عنه القدر.

ويعتبر الحكم الديكتاتورى من العوامل التى تشد الإنسان إلى الإيمان بالقدر، فالحاكم الديكتاتورى المستبد يتحكم فى مصير العباد من مأكلى ومشرب وعمل وحرمان من الحرية أو حتى الحرمان من الحياة، فإذا كان الإنسان فى هذه الحالة ضعيفاً مستسلماً فمن الأوفق لمسايرة الحياة أن يرجع قوة الحاكم إلى القدر أو ينتظر الفرج من القدر، هذه القوة التى تفوق الحاكم الطاغية عدلا ورحمة.

إن عوامل اتباع الإنسان للفلسفة القدرية كثيرة، منها الأساطير الموروثة عبر القرون الطويلة والتى تناقلتها الألسن وخطت فى ورق بدون البحث فى عقلانياتها ومنطقها، وأصبحت مرتعاً فى العقول الضعيفة الساذجة، فحتى وقتنا هذا تنتشر الخرافات التى يصدقها حتى المثقف والمتعلم، خرافات وأساطير

إختلقها عقل إنسان متخلف ونقلها بعد تهويل عقل إنسان مغرض وصدقها وعاش بها عقل متخلف آخر.

هل الإنسان فعلاً له حرية الاختيار، وهل قرار الإنسان فعلاً قراره، أو أن قدره النابع من ميراث جيناته ومكان عاش فيه وزمان حيا من خلاله واكتسب خبراته، هو المسئول عن اختياره وقراره. دعنا نتناول ونحلل عمل الحاسب الآلى كمثال لما يحدث للإنسان، فالذى ينطبق على الحاسب الآلى قد ينطبق على الانسان أيضاً، يوجد مقولة شهيرة عن الحاسب الآلى تقول (على حسب الداخل، يكون الخارج)، دعنا نحاكى ونمثل الحاسب الآلى بالإنسان ونفرض أن نظير الجسد المادى للإنسان هو مكونات الحاسب المادية (Hardware) وهى تمثل الأجزاء المادية المكونة لجهاز الحاسب، وتشمل أجهزة الإدخال وأجهزة الإخراج وأجزاء الحاسب الداخلية مثل المعالج الدقيق (Microprocessor) والذاكرة والدوائر الاليكترونية والأسلاك. إن نظير الجينات الوراثية التى تحمل طرق عمل وظائف الجسد فى الانسان هى برامج النظام فى الحاسب الألى. (System Software) وهى البرامج التى تستخدم فى تجهيز مكونات الحاسب للتشغيل، أما البرامج التى تصمم لتنفيذ وظائف محددة إدارية أو محاسبية أو علمية أى البرامج التطبيقية (Application Software) فهى بعض الخبرات التى يكتسبها الإنسان والتى تستخدم بالتفاعل مع ماورثه الانسان فى جيناته لتنفيذ عملية حسابية أو منطقية.

إن البيانات الداخلة للحاسب هى الخبرات والمعلومات والبيانات التى يكتسبها الإنسان طوال الوقت. بدون تفكير أو تحليل كبير نستطيع أن نقول بأن مخرجات الحاسب تعتمد على المدخلات من بيانات وعلى البرامج المحملة عليه، أن هذا الحاسب ما هو إلا أداة تعمل عن طريق عقولنا وأيدينا، فالحاسب فى الحقيقة لا يفكر ولا يتكلم ولا يختار، فنحن الذين صنعناه وأدخلنا فى ذاكرته البرامج والمعلومات، البرامج المكونة من الطرق والدروب، فالاختيار والقرار أولاً وأخيراً ليس اختيار أو قرار الحاسب بل اختيارنا نحن وقرارنا نحن.. والإنسان فى النظام

الكونى مثل الحاسب فرض عليه موروثاته من خلال الجينات والغرائز وفرض عليه بيئته وعقيدته وأساطيره، أى حتى تجاربه ومعلوماته المكتسبة هى أيضا مفروضة، إذا فالقرار والاختيار ليس قرار أو اختيار الإنسان بل قرار واختيار القدر.

إن الإنسان الان فى صراع وتحدٍ مع الوقت لتطوير حاسباته الآلية بتطوير علم الذكاء الاصطناعى (Artificial Intelligence) الذى يقوم على محاكاة بعض عمليات الإدراك البشرية، والتى يقوم بها الإنسان بشكل آلى مثل الإبصار والسمع والكلام والحركات المتوازنة أى تطوير برامج قادرة على أداء سلوكيات توصف بالذكاء عند قيام الإنسان بها.

دعنا نعرف الإدراك (Perception) بأنها عملية الاستقبال الحسية وتخزينها كخبرات مكتسبة فى المخ، وينقسم الإدراك إلى أنواع منها الإدراك الحسى عن طريق الحواس الخمس (البصر - السمع - التذوق - الشم - اللمس) والإدراك الداخلى للجسم من انفعال ومؤثرات داخل جسم الإنسان والإدراك المكانى / الزمانى للإحساس بنسبية المكان والزمان أى ربط المكان بمكان آخر وربط الزمان بزمان آخر فى الماضى والمتقبل.

تلخص الصفات التى يحاول الإنسان تطبيقها على الحاسب عن طريق علم الذكاء الاصطناعى فى الخمس نقاط التالية:

المعالجة الرمزية (Symbolic Processing) والتى تختلف عن المعالجة العددية التى يعتمد عليها الحاسب. إن مخ الإنسان يستخدم طرق الاستخدام المنطقى (Reasoning Process) الذى يحاول الذكاء الاصطناعى محاكاتها.

الحدس (Heuristics) وهى عملية الحكم على الأحداث بالخبرة التجريبية تقليد السلوك الإنسانى فى تطبيق عدم التأكد (Uncertainty) وتمثيل البيانات بنسبة ثقة معينة فى صحتها.

مضاهاة الصور (Pattern Matching) ومقارنتها، والتى تساعد فى وصف

الأشياء أو الأحداث أو العمليات عن طريق خصائصها النوعية والمنطقية والعلاقات الحسابية.

الاستدلال (Inferencing) وهو أحد عمليات الاستنتاج المنطقي.

التعرف على الكلام (Speech Recognition) أى قدرة على توجيه الأوامر إلى الحاسب شفهيًا. للجهاز العصبى للإنسان وظيفتان رئيسيتان إحداها حسية والأخرى حركية، ويسيطر الجهاز العصبى على أجهزة الجسم المختلفة لتنظيم العمليات المختلفة للحياة والحركة وتشمل العمليات الإرادية مثل حركة الأطراف أو الغير إرادية التى لا يوجد سيطرة لنا على تسييرها. يعتبر الجهاز العصبى جهاز اتصال يربط بين الأعضاء المتصلة بالبيئة الخارجية كالجلد والعين والأذن وبين لوحة القيادة المركزية وهو المخ الذى يناظر فى الحاسب الآلى وحدة المعالجة المركزية (Central Processing Unit)، كما يتولى الجهاز العصبى إدارة الأجزاء الداخلية للإنسان أيضا والتي لا نستطيع السيطرة على أداؤها مثل التنفس ودوران الدم وهضم الطعام وإخراج النفايات وعمل المثانة البولية وإفراز العرق وخلافه من العمليات الداخلية الأخرى. ويقوم عمل الجهاز العصبى فى العمليات الغير إرادية على العمل الانعكاسى.

وتعتبر الخلية العصبية (Neurons) هى الخلية الأساسية فى الجهاز العصبى. تعتمد عملية نقل المعلومة من طرف محور إلى طرفه الآخر على كهرباء مولدة تقاس بالميكروفولت ناتجة من حركة أيونات وعمليات كيميائية تتم داخل وحول غشاء محور الخلية العصبية.

و يحتوى المخ البشرى على حوالى ٤٠ بليون خلية عصبية وتمثل الخلية العصبية واحد بايت تقريباً من المعلومات أى حرف واحد. إن الحاسبات فى وقتنا الحالى تحتوى على ذاكرة رئيسية تتراوح ما بين عدة ميجابايت فى الحاسبات الشخصية إلى عدة مئات من الميجابايت فى الحاسبات الكبيرة. إذا كانت عملية اتخاذ القرار والتعلم وبعض الأعمال التى تحتاج إلى ذكاء تستخدم حوالى نسبة

تتراوح ما بين ١٠ - ٣٠ ٪ من السعة الكلية للمخ البشرى والتي تمثل مايكافى حوالى ١٠ بليون بايت (١٠ جيجابايت) فإن هذه السعة تفوق السعة المتوسطة للحاسب بأكثر من مائة مرة.

إن كل خلية عصبية بشرية تحوى ما بين ألف الى عشرة آلاف داخل وخارج بإجمالى ما يقرب من ١٠٠ تريليون وصلة فيما بينهم بينما نجد أن الحاسبات الآلية لا تتعدى الوصلات بين مكوناتها الأساسية إلا عددًا محدودًا جدًا، ولكن من جهة أخرى فإن سرعة النبضات العصبية (Neural Impulses) فى الإنسان تصل إلى حوالى ٥٪ فقط من سرعة نقل المعلومات فى الحاسبات.

إن عملية الفعل ورد الفعل فى الإنسان تنتج من تغير كيمياء الجسم نتيجة لمحصلة استقبال ادراك معين مع استرجاع ذكريات قديمة مخزنة فى المخ مرتبطة بما تم استقباله حديثاً. مثلاً عندما يسمع إنسان لا يعرف اللغة الإنجليزية - (Son of a dog ابن الكلب) ويستقبلها المخ فإن هذه الجملة لاتعنى له شيئاً، أما إذا كان هذا الإنسان المستقبل قد عرف معناها مسبقاً وتخزن فى عقله ان هذه الجملة هى سب له وإهدار لكرامته فسيكون رد الفعل فى الحالة الثانية بالطبع مختلف عن رد الفعل فى الحالة الأولى. إن الجملة المجردة فى حد ذاتها لاتعنى شئ فقد كان المدح عند العربى القديم التشبيه بالكلب ووفائه أما ما اكتسبه العقل الحديث هو ارتباط التشبيه بالكلب بالهانة والحقارة وأن رد الفعل الطبيعى لسماع هذه الألفاظ هو أن نثور لكراماتنا، إن ماتم اكتسابه من المجتمع هو الذى أملى علينا رد فعلنا وليست عملية الإدراك. لقد أثار القاموس المخى أو المترجم الوسيط داخل المخ عند سماعه (ابن الكلب) الميول العدوانية الفطرية المتوارثة فى الإنسان، كما قامت الثقافة المكتسبة من تغذية السلوك العدوانى عند سماع هذه الجملة. يمكن اختصار وتوضيح تسلسل رد الفعل البشرى فى النقاط التالية:

- عملية الإدراك من استقبال محاييد لمثير خارجى.
- الحكم على المثير (ضار أو نافع/قوى أو ضعيف /.....).
- ويعتمد هذا الحكم على الغريزة والخبرات المكتسبة.

- الانفعال حسب نوع المثير وشدته (سعادة / حزن / خوف / دهشة / غيره/.....). بما يصاحبه من تغيرات داخل جسم الإنسان.

- رد الفعل تبعاً للحكم المتخذ مسبقاً.

وفى النهاية ووفقاً للفلسفة القدرية يمكننا القول بأن أفعالنا وردود أفعالنا يحكمها ما ليس للإنسان يد عليها من غرائز متوارثة وخبرات مكتسبة فرضت علينا من ظروف خارجية.

قد يتبادر إلى الذهن سؤالان، الأول هو: كيف تطوع المترجم الداخلى ليحول بقدر الإمكان المثير المؤذى والمؤلم للنفس البشرية إلى موجة بحر متوسطة الارتفاع والشدّة نعلو معها حتى تمر بسلام ثم نواصل الاستمتاع بالسباحة الهادئة؟ أما السؤال الثانى فهو: كيف يجب أن نعيش فى مسرح الحياة، هل نرتدى ثوب:

- الممثل المنفعل بالأحداث والذى يقوم بإخراج المسرحية وفى نفس الوقت يقوم بإنتاجها بماله الخاص.

- الممثل متقمص الشخصية التى يمثلها والذى يعرف انه يمثل فقط، قد ينفعل أحياناً ولكنه انفعال ممثل، ينسى بعد نهاية المشهد تقمصه وانفعاله.

- المشاهد (المترجم) الذى قد ينفعل بالأحداث أثناء المشاهدة ثم ينسى كل شئ عند خروجه من مشاهدة المسرحية، ثم يذهب بعد فترة لمشاهدة مسرحية أخرى ينفعل معها لحين من الزمن.

- المشاهد الذى يشاهد المسرحية والغير منفعل بالأحداث، الآخذ فى الاعتبار أنه يشاهد فقط ليتسلى.

الإجابة عن السؤال الأول هو: مادامت الثقافة المكتسبة هى التى تكون المترجم الخاص بالشخص فمن الممكن إعادة برمجة هذا المترجم، وبمساعدة وجود حافز الوصول إلى السعادة والوصول إلى الهدوء النفسى والانسجام الداخلى،

وبمواصلة الأبحاث لتثبيت المترجم الجديد بعد برمجته نستطيع تطويره وتكييف هذا المترجم الذى فرضه علينا مجتمع حالى وتقاليد وثقافات موروثه قد يصل جذورها إلى آلاف السنين. وفى أثناء محاولة إعادة برمجة المترجم الداخلى يجب أن نحاول تغيير مترجم المجتمع ككل أى التأثير فى ثقافة المجتمع بغرض التغيير لأننا جزء من المجتمع الذى نعيش فيه ولا نستطيع أن نعيش منعزلين عنه لفترات طويلة. قد تحتاج عملية التغيير الى قرون طويلة، ولكن على أية حال نستطيع الحكم مما تعلمناه من العلوم الرياضية والاجتماعية، ومما تعلمناه من التاريخ بأن ناتج أى تأثير ولو كان بسيطاً هو تغيير ولو كان قليلاً، وتراكم التأثيرات البسيطة على مدى سنوات طويلة يحدث التغيير الملموس على المدى الطويل.

يشدنا ما قد سبق من تحليل فى إجابة السؤال الأول إلى السؤال الثانى والإجابة عليه. إذا أوصينا أو أيدنا أن نعيش فى هذه الحياة كمتفرجين فقط غير منفعلين بما يجرى من حولنا من أحداث فإن الآخرين سيتهموننا باللامبالاه وبالانعزالية والسلبية. من جهة أخرى وبالتأكيد سيكون الضرر النفسى والمادى غالباً إذا انفعلنا دائماً بالأحداث محاولين إخراج مسرحيات الحياة عن طريق التوجيه للآخرين أو الضغط عليهم، مضحين بوقتنا الذى من الممكن ان نقضيه فى عمل آخر نافع، سنكون مشدودين دائماً منفعلين لخروج الممثلين الآخرين عن النص الذى نظن اننا كتبناه - ناسين ماخطه القدر. وفى الخلاصة نحن نضحى بالوقت والمال فى سبيل إنتاج وإخراج مسرحية قد تكون فاشلة أو غير ذى معنى أو فائدة.

يبقى لنا الوسط - وخير الأمور الوسط - فى أن نتعلم كيف نختار المسرحية التى نشترك فيها (بقدر إمكانياتنا فى الاختيار) ومتى ندخل المسرح ومتى نتفاعل مع أحداث المسرحية ومتى نخرج من المسرح تاركين للممثلين الآخرين تكلمة باقى المشاهد عندما نجد أن انفعالنا قد وصل إلى الحد الحرج الذى يؤدي إلى الجهد العصبى والضرر النفسى أو قد يؤدي الى مرض عضوى. قد ندخل

المسرح مرة ثانية عندما نهدأ أو عندما يتم شحن بطارياتنا الانفعالية وتستقر حالتنا الصحية للأحسن وللأفضل بالطبع، قد ندخل المسرح فى صفوف المشاهدين، ندخل ونحن متشوقين للانفعال المعتدل مرة ثانية وتبدأ دورة جديدة يعقبها دورات أخرى حتى ينتهى دورنا فى هذه الحياة.

فلسفة اليوجا

عندما تسمو الروح ويرتفع الإنسان فوق الأحداث الشخصية فسوف تتفتح البصيرة ويعم نور الصفاء الداخلى فيكون من السهل أن نرى الطريق، يجب أن نبسّم دائما للشعور بالاطمئنان النابع من القوة الداخلية للذات، يجب علينا أن نفقد القدرة على أن نجرح... فاليد قد تجرح والكلمة قد تجرح، يجب أن نتخطى مرحلة البكاء على الكرامة المجرّحة والنقد الجائر والإساءة الظالمة، يجب أن نتجاوز تجربة الفشل وخيبة الأمل.

كان ما سبق كلمات من فلسفة اليوجا التى تلخص فى أربع قواعد هامة وهى:

قتل الطمع والطموح.

قتل الرغبة فى الحياة.

قتل الرغبة فى الترف.

ثم تجيء روعة فلسفة اليوجا وهو الجزء الصعب فى استيعابه وتطبيقه لما قد يبدو فيه من تناقض مع ما سبق خصوصا إذا قمنا بتطبيق القواعد الثلاث السابقة.

إن القاعدة الرابعة تنص على:

اعمل كما يعمل الطامعون الطامحون واقدم على الحياة واحترمها كما يحترمها الراغبون فى الحياة وكن سعيداً مثل أولئك الذين يعيشون فى رفاهية وترف.

قد يبدو ظاهريا تناقض فى القاعدة الرابعة عن القواعد الثلاثة الأولى، ولكن بوصول الذات إلى القوى الروحية الحقيقية نستطيع تطبيق جميع هذه القواعد بدون الشعور بأى تناقض، فالقواعد الأربع تكمل بعضها البعض، وبالممارسة نستطيع أن نجعلها تتناغم فى سيمفونية روحية متجانسة ومتكاملة.

إن الإحباط وهو أساس معظم الأمراض النفسية ينتج من عدم تحقيق هدف معين يطمع أو يطمح فيه الفرد، قد يكون الهدف المراد تحقيقه مركزاً أدبياً أو النجاح فى دراسة أو مشروع اقتصادى أو الحب والزواج، وأى فشل فى تحقيق هذا الهدف يصيبنا بالإحباط والنزوع إلى الانطواء أو العدوان، ولكن إذا عملنا كما يعمل من يريد تحقيق الهدف بدون أن يكون الهدف هو ما نصبو إليه؛ فمنعمل بكامل جهدنا ولن يصيبنا الإحباط إذا فشلنا، بل بالتأكيد سنكطف نتاج جهدنا إذا نجحنا.

إن الطموح أو الطمع الذى تقصده القاعدة الأولى هو التفاخر والزهو والأنانية وتطبيق المبدأ الميكافيللى (الغاية تبرر الوسيلة) الذى يدفع الإنسان إلى سحق كل من يعترض طريقه بغير رحمة أو شفقة للوصول إلى الهدف الذى قد يكون زائفاً، وقد يقود الإنسان إلى هلاكه. قد يظن الإنسان أن سعادته ستحقق بمجرد الوصول إلى الهدف المراد تحقيقه، وقد يكون هذا حقيقياً بصفة مؤقتة فى بعض الأحيان، ولكن نحن لا ندرى ما يخبأ لنا القدر فى المستقبل (عسى أن تجوا شيئاً وهو شر لكم).

إذا أصبح الإنسان عبداً لرغباته وشهوته بدون النظر إلى الآخرين من حوله فمتحول المجتمع إلى غابة تحوى كائن جديد هو مزيج من العبد والحيوان وويل للإنسان من هذا المزيج... إنه كائن لا يرحم، لا ينسى أبداً أن فى داخل ذاته عبد حقير كما لا ينسى أنه حيوان شهوانى يقتل حتى أحب الناس إليه لتحقيق رغباته وإشباع شهواته وملذاته. لقد كانت حكمة نناك المعلم الأول عند الشيخ:

(على الإنسان أن يقاوم خمسة من الاعداء وهم: الشهوة والغضب والطمع والتملك والغرور).

ومن جهة أخرى إذا عملنا كما يعمل الطامعون الطامحون، ولكن بدون طمع أو طموح فسوف نصل إلى أهدافنا دون تدمير من يقف فى طريقنا، وנסعد إلى أعلى قمم النجاح دون قلق من الفشل، فيجب أن نعمل بكل جهدنا من مبدأ أن

العمل عبادة وأن العمل لذة وكنة الحياة التغير ولا يأتي التغير إلا بالحركة وياحبذا إذا كانت الحركة فى الاتجاه الصحيح والاتجاه الإيجابى النافع بما فيها مصلحة للفرد والجماعة.

على الإنسان أن يتعلم أن أقل الأعمال لها قيمة قد تكون حيوية فى النظام الكلى للكون فلا بد أن نتقن عملنا حتى إن كان تافهاً أو عديم القيمة من وجهة نظرنا فيوجد من هو أعلى منا ينظر إلى عمل المجموعة ككل وله نظرة أخرى أعم وأشمل.

إن التفاؤل والتمسك بالأمل من أهم أسلحة النجاح فالخوف من الفشل قد يؤدي إلى الإحباط والفشل، فلتكن نظرنا العامة فى الحياة: β نحن نعمل ونتعب وعلى الله الثواب والحساب».

بعض من علماء النفس يجذبوا قليلاً من القلق ليكون حافزاً للعمل، ولكن لماذا نقلق إذا وجد الحافز بدون قلق، ولماذا نقلق إذا كان الهدف غير موجود، نسير فى نفس طريق الهدف وهو طريق العمل الجاد، العمل الذى يؤدي إلى السعادة بدون تدمير وبدون الشعور بالمهانة.

إن الطموح الحقيقى هو السير إلى النهاية فى طريق العمل الشاق الذى لا ينتظر من ورائه حمد أو أجر، وحيث أن الطريق ليس له نهاية فالنهاية هنا هى عدم القدرة على السير بالموت أو المرض، وحتى فى المرض إذا استطعت أن تعمل بعقلك فاعمل فلا يجب أن نترك أى عضو به حياة وله قدره على العطاء بدون ان يعطى.

توصى القاعدة الثانية لفلسفة اليوجا إلى قتل الرغبة فى الحياة ولكن مع احترام القاعدة الرابعة وهى احترام الحياة كما يحترمها الراغبون فى الحياة.

إن فلسفة اليوجا تدعو إلى محو فكرة إن الحياة الدنيا هى كل شىء. إن المقصود بقتل الرغبة فى الحياة فى فلسفة اليوجا هى قتل الحياة التى تحمل الإنسان على الخوف من الموت والتى تولى الحياة أكثر مما تستحق من الاهتمام باللذات

الجسدية. ان المؤمن الحقيقي لا يرتعد من فكرة الموت إذ أن الموت سيؤدى إلى دار أخرى هي دار السعادة للمؤمن الذى يتقى الله فى عمله وفى بيته ومع الآخرين.

وفى نفس الوقت وعلى طريق القاعدة الأخيرة التى تنص على احترام الحياة، يجب على الإنسان أن يحترم عقله وجسده بحيث لا يندس العقل أو الجسد بتفاهات الحياة أو السيئ من التفكير. إن العقل والجسد هما هبة من الله فيجب أن نحافظ عليهما ونحسن استعمالهما، فالجسد يجب أن يكون نظيفاً صحياً وقوياً والعقل يجب أن يتعلم ويفكر، ثم يعطى الجسد والعقل الآخرين من أجود ثمار ما حصلنا عليه وطوراه.

يجب أن نعيش الحياة كما هى، يجب أن نعيش كل لحظة فيها بقوة وسعادة غير آسفين على ماضٍ أو خائفين من مستقبل.

ليس معنى قتل الرغبة فى الترف التى تنص عليها القاعدة الثالثة الزهد أو التقشف أو التقدير فى نهل مباحج الحياة. إن من الخطأ أن نعيش فى دنيا بها مباحج ولا نستمتع بها ولكن يجب ألا نغضب الله كما يجب أن يكون الإنسان سيداً لمباحج الحياة لا عبداً لها وذلك عن طريق التملك بالأديان والإرادة القوية وممارسة الرياضة الذهنية والرياضة الجسدية بالإضافة إلى الرياضة الروحية.

إن فى الصبر على الحرمان والتعود على العمل الشاق فوائد كثيرة للنفس البشرية فالحياة لا تسير فى رتم سلس أو على هدى ورغبة الفرد على طول الطريق فعند التعرض للشدائد سنكون أقوياء، فقد تعلمنا الصبر واكتسبنا قوة الاحتمال ورضينا بقضاء الله.

إن الانغماس فى لذات الحياة تبعثنا عن الأهداف السامية النافعة للذات والمجتمع ككل، فالبساطة فى العيش والبعد عن الترف الزائد يجب أن يكون أساس الحياة، نتمتع بالقدر المعقول من مباحج الحياة ونحتفظ بالقوة اللازمة لنكون أسياداً على شهواتنا، يجب أن نتيقن أن السعادة ليست نابعة من الاستمتاع بالشهوات ولكنها نابعة من داخلنا، بذاتنا نكون سعداء وبنفس الذات نكون تعساء.

تدعونا القاعدة الرابعة بأن نكون سعداء مثل الذين يمارسون كل مباحج الحياة سعداء بسعادة حقيقية وليست سعادة ظاهرية، سعداء بصبرنا وبعدنا عن الترف المدمر لروحنا وجسدنا. و تدعونا نفس القاعدة إلى تقبل الحياة تحت أى ظروف؛ فالدنيا أساسها التغير والتضاد، من عطاء وحرمان، من صحة ومرض، من حب وكره، من كرم وذن من..... ومن..... فأياً كان الوضع الذى نحن فيه يجب أن نشعر بالسعادة لأن السعادة كما قلنا من قبل نابغة من الداخل، الشر داخلنا فلماذا لا نفتلعه؟! والسعادة داخلنا فلماذا لا نستمتع بها؟.

وتعدد فلسفة الیوجا بعض النزوات الحيوانية التى يجب أن نبتعد عنها مثل الرغبة الجنسية المحرمة وداء الكبرياء الذى يولد فى النفس حب المنافسة مع الغير وخصومة لاداعى لها وتفاجر كاذب وصراع قد يكلف الإنسان كثيرا من صحته وسعادته.

إن الكبرياء الباطل هو العدو الأول للتقدم فالحياة تسير بنا صغيراً وكبيراً، فقيراً وغنياً، تعساء أو سعداء فلماذا لا نسير معها متعاونين، فالكون واحد لجميع الناس والطريق واحد وإن اختلفت الأهداف والنهاية واحدة وإن اختلفت الأعمار. وفى نهاية الدرس الیوجى هل نستطيع أن نسمو بالروح إلى مستوى أعلى من الحسيات والذات والعقلانيات... فى التطبيق الواقعى قد يكون الأمر صعب ولكنه ممكن بالتمرين الدؤوب والصبر والسكينة.

* * *

الفلسفة النفعية

احتوى كتاب «الأمير» لميكافيللي العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وكذلك السياسة الخارجية للعلاقات بين الدول، واعتنق كثير من السياسيين النصائح التي أوردها الإيطالي نيقولا ميكافيللي في كتابه لأميره أو رئيسه لتتحول هذه النصائح إلى فلسفة مشهورة ببعض ماجاء في الكتاب من تعبيرات مثل: (الغاية تبرر الوسيلة)، وأصبحت هذه العبارة وسيلة لتحطيم أى قيم أو أخلاق للوصول إلى الغاية... ومن منا بلا غاية.

فى النقاط التالية يمكن تلخيص الفلسفة النفعية القائمة على المبادئ الميكافيلية التي يمارسها كثير من الناس العاملين بها أو الممارسين لها بطبيعتهم، فمعظم فكر البشر يحوى تفكير ميكافيللي كامن فى ركن ما يستطيع الإنسان أن يظهره حينما يريد أو يقدمه للآخرين بعد تغليفه بورق الهدايا المزركش حتى لانرى الوحش الذى بداخله ولا نتحقق من كونه إلا بعد ان يصينا مابه من شرور.

إن معظم الناس لا يتسمون بالطيبة وبناءً عليه يجب أن نتعلم كيف لا نكون طيبين. إن الواقع العملى الفعلى للحياة يستلزم إلا يتمك الإنسان ببعض الفضائل التي قد تدمره إن عاش بها، فكما يوجد الإنسان الطيب يوجد أيضا الإنسان القاسى الجشع المستبد الحقود الفاسق المتغطرس، فعلى الإنسان ألا يكون طيب مع هذه الصفات السيئة، وكما ينصح ميكافيللي من أن اقرآف بعض الرذائل قد يؤدى إلى الأمن والاستقرار والنجاة من المهالك، ففى قول اناتول فرانس (إن الأخلاق هى مجموعة أهواء المجتمع) أيضا ذريعة لفلسفة الأخلاق كما نهوى وكما نحب.

يجب ألا يتعلم الإنسان أن يكون كريماً سخياً فالإسراف يؤدي إلى الإفلاس، ومسك اليد بعد العطاء يؤدي إلى تمرد من تعود الأخذ، كما أنه سيعانى من اتهام الناس له بالبخل والتقتير إذا قصر فى العطاء. يجب أن يتعلم الإنسان كيف ومتى ولمن يعطى وكيف ومتى ولمن يمسك، يجب أن يحسب المقابل للعطاء أو كما ورد فى العلوم الاقتصادية الحديثة (حساب: الفائدة / التكلفة).

قد يؤدي الإنفاق بغير حساب إلى السرقة أو الاختلاس للإنفاق على من تعود على كرمنا وإلا انفضوا من حولنا، المال قوة يجب الحفاظ عليها فمن الحكمة أن نعيش بصفة التقتير التى تسبب فخر وزهو أقل، ولكن بدون عدا على أن نعيش بصفة الكرم الزائد لإرضاء الناس والذى قد يؤدي إلى الفقر ومد اليد إلى الغير.

يجب على الإنسان ألا يسئ استخدام الرحمة فقد تكون القسوة لازمة للإدارة وللتحكم فى البشر، وقد تؤدي الرحمة إلى الفوضى والعصيان. يجب أن نعيش فى يقظة مستمرة ومن منطلق الاعتدال، لارحمة دائمة ولاقسوة طوال الوقت، لا تعمينا الثقة بالنفس عن الحذر كما لا يعمينا الارتياح الزائد عن التسامح فى الحدود المقبولة. يجب أن نعلم الآخرين أن يرهبونا ويحبونا فى نفس الوقت.

للبشر طباع سيئة فطالما حققت لهم النفع فهم موالون لك وهم على استعداد أن يقدموا لك أموالهم وممتلكاتهم وحتى دمايتهم وأولادهم يقدمونها إذا كانت لهم حاجة ماسة، ولكن احذر فعندما تنقطع الحاجة إليك ينقلبون عليك. يجب أن يشعر الآخرين بفضلك الدائم عليهم وأنتك تستطيع أن تمنح كما تستطيع أن تمنع. يجب ألا نطمئن إلى معسول الكلام من الآخرين فطبيعة الإنسان النفاق، والإنسان المنافق هو إنسان ضعيف يقتلك بغدر ويغدر بك فى مقتل.

يجب ان نتعلم فن المناورة ومهارة التلاعب بالآخرين والتلاعب بالألفاظ وكيف نلقى الخطب الجياشة التى تؤثر فى بسطاء الناس. لتكون نصيحة فورتين دى فيليس إمام أعيننا «نادراً ما ينصح بأن تواجه التحامل أو الثورة بالمثل، ولكن

من الأفضل أن تبدو وكأنك متفق تماما معهم حتى تكسب الوقت لتحاربهم، على الإنسان أن يعرف كيف يبحر عكس الريح ويناور حتى تصبح الريح موالية». .

نحن نصارع وناور - ندهن ونجامل من أجل هدف المنفعة. إن لكل شيء ثمن والإنسان أيضا له ثمن، المهم أن نعرف كيف نساوم لتخفيض الثمن الذى ندفعه إلى أقل قدر ممكن وتصعيد الثمن الذى نقبله إلى أكبر قدر ممكن. الحياة منفعة والذكي من يحصل على أكبر قدر من صافى المنفعة.

يجب أن نتصرف تصرف الوحوش.. فى أن تكون كالأسد وكالثعلب فى آن واحد، الأسد فى قوته والثعلب فى دهائه... فالثعلب يستطيع أن يحمى نفسه من الكمائن ولكن لا يستطيع أن يحمى نفسه من وحش كاسر يواجهه وجه لوجه أما الأسد فيستطيع أن يصارع ويتغلب ولكنه لا يستطيع أن يتجنب الوقوع فى فخ الماكرين.

الإنسان فى أوقات ضعفه يصبح سهل المنال يمكن شراؤه بأبخس الأثمان. يكون الإنسان ضعيفا عندما تقرب مخزون طاقته النفسية والعصبية على الانتهاء ويحدث هذا النضوب بعد الدخول فى صراع داخلى أو خارجى. عندما تتصارع المرأة أو الفتاة مع زوجها أو أهلها أو مع من تحبه، تستهلك معظم طاقاتها النفسية فى الصراع؛ وحينئذ تصبح سهلة المنال بقليل من العاطفة والكلام المعسول والرجل أيضا تستطيع صيده فى لحظات ضعفه ونضوب طاقة بطاريته الانفعالية بقليل من المغريات. تحين فرصة الضعف لتشتري الغالى بقليل من الثمن.

الإنسان الذكى لا ينبغي له أن يحفل كثيرا بالوفاء عندما يكون الوفاء ضد مصلحة. ليس كل الناس أوفياء، فلماذا نكون نحن الأوفياء، ولكن يجب أن نبرز التبريرات القوية ونقدم الذرائع المقبولة لنقض العهد حتى نظل أوفياء أمام الناس ويظهر الطرف الآخر بانه السبب فى اضطرارنا إلى نقض ماعاهدنا به. من السهل خداع الناس بالتظاهر بالورع والتقوى وما أسهل رسم مسحة الإيمان على جباهنا

والتقوى على وجوهنا. وما أسهل التظاهر بالرحمة والإنسانية والإخلاص والوفاء... والله وحده يعلم ما فى سرائرنا. إن بعض الفلاسفات الحديثة لم تعد تسمى الشر شرا ولكن تسميه عدم الخير وأصبح مسمى القسوة حزما... إنها كلمات منتطع تلوينها حسب ما نريد وحسب من نريد أن نقدمها له فالغاية تبرر الوسيلة.

لكل شىء فى الوجود مقابل وكل شىء له ثمن مادى أو معنوى. فالزوج يحب زوجته لإشباع رغبات وغرائز والوالدين يحبوا أولادهم لإشباع غرائز والأولاد ينتظرون الدعم المادى والمعنوى من الوالدين، الإيمان مقابل جنة الخلد، العلاقة بين الأصدقاء هى علاقة منفعة متبادلة وكذلك العلاقة بين الشعوب، وياحبذا لو كان الميزان التجارى فى صالحنا فستكون المنفعة فى هذه الحالة لنا، من منا يرضى بالتعادل والتساوى، نحن بطبعنا شرهين، طماعين، نحب الانتصار ونحب أن نحصل دائما على الجزء الأكبر من الكعكة وليكن الفتات للآخرين.

نتظر من كرنا وتساخنا عائداً، فمن السهل أن تتحول السمعة الطيبة إلى عائد مادى ومعنوى فبعض الناس يطربهم أن يقول الناس عنهم أنهم طيبون وبعض الناس يستثمر هذه السمعة الطيبة فى أعمال تجارية ونفع مادى.

يختلف تقييم أو تميم الشىء وحساب تكلفته من شخص لآخر، كلنا نقوم بهذه العملية فى الوعى أو اللاشعور فأى قرار لنا نابع من الحساب. يجب أن نعى هذا الدرس فى الحساب: فلنأخذ أكثر مما نعطى، هذه هى النفعية التى يسير عليها ويعيش بها كثير من الناس، أما الذى لا يطبقها فهو إنسان متخلف، أهبل، رجعى ومهقد نفسيا، هذا الإنسان يجب نبقى عليه فنحن نريد حولنا الإنسان الضعيف الذى يمكن خداعه واستغلاله بالعقيدة والأساطير تارة أو بالحضارة والمدنية تارة أخرى، وليذهب القوى، العالم، المثقف إلى الجحيم لأنه سيقف أمام أطماعنا ويفضحنا أمام الناس.

فلسفة الاستحمار

كان ياما كان فى سالف العصر والأوان كان يوجد مجتمعات متحضره أساس الحكم فيها الحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية، وكانت العواطف السائدة فى تلك الأيام وذلك المكان هى الحب والرحمة والتكافل بين الإنسان وأخيه الإنسان، حتى الحيوان كان يتصف بالوفاء والحنان.

إذا أنعم الله عليك بالذكاء وأعطاك من عنده - وسبحان الله هو العاطى الرزاق - حب العمل الشاق والاطلاع، والبحث والدراسة والثقافة، فقد يمكنك التفوق والترقى. لم يكن مطلوب منك الرياء والنفاق، فأنت تعمل للعمل ولصالح البلاد وسعادة العباد، كلما أعطيت من جهدك ووقتك كلما أعطاك المجتمع أجر عرقك، يمكنك ان تصبح وزيراً أو حكيماً فى بلاط السلطان بذكائك وإخلاصك للمجتمع وأفراده من جنس الإنسان، فالكل فى خدمة المجتمع والإنسان وليس فى خدمة الحاكم أو السلطان، الكل أسياد لا يوجد فرعون أو طبقة الكهنة أو طبقة العبيد.

والآن اختلف الزمان واختلف المكان وحل الغيباء محل الذكاء وحل الرياء محل الوفاء وأصبح الجميع فى قصر السلطان كتبة وغمامين و أفاقين، يجب أن تتبع اللوائح والقوانين وتدوس على بنى الإنسان المساكين، هذا باشا وهذا أمير وتعظيم سلام لسيادة المدير، أصبح قاموس الإنسان (كله تمام / أنجزنا بتعليمات سيادتك / بالروح - بالدم نفديك / القائد البطل / أطال الله فى عمرك / لك الأبدية ولنا الموت والنسيان / كلنا فداك.. ياسلطان).

أصبحت القيادة ضعيفة، والضعيف لا يقود قوى، والغبي لا يقود ذكى، فتم اختيار الصف الثانى أغبياء ضعفاء والصف الثالث أغبى وأضعف، والصفوف التالية بلهاء متبلدين، أقصى أمانهم وظيفة حكومية أو طبق كشرى ومهلبية.

نظر الذكي ذو الشخصية المتميزة حوله فوجد طريقين، طريق الضياع مع الثعالب والذئاب وطريق التحامر مع الحمير. على الطريق الأول هو مأكل ومهضوم. أما على الطريق الثاني فبالغابى والمداهنة، وبالنفاق والمسايرة يستطيع تكملة الطريق مع الرفاق ويشرب من نهر الجنون.

فقد سبق وأن حدثتنا رواية نهر الجنون عن السلطان الذى وجد نفسه العاقل الوحيد بعد ما شرب كل شعبه من نهر الجنون فأصبحوا جميعاً مجانين، وأصبح السلطان العاقل هو الجنون الوحيد من وجهة نظر شعبه المجنون، فاضطر أخيراً للشرب من نهر الجنون ليصبح مثل شعبه مجنون.

فى المنزل توجد السيدة المصونة والجوهرة المكنونة، تريدك سبع السباع مع الآخرين حمار بالنسبة لها تركب عندما تريد وتنزل عندما تتعب وتريد، تتباهى بذكائك المتفوق على ذكاء اينشتين فقط عندما تريد أن تغيظ امرأة أخرى، وتوهمك بغباء الحمير عندما لا تلبى رغباتها و ما أكثر رغباتها. وفى العمل يوجد رئيسك الأملعى الذى ليس له فى الذكاء مثيل وليس له فى الإدارة بديل، إذا غاب فأنت لاتصلح أن تدير، هو وحده الكاهن الأعظم، هامان الدواوين، وملك الإدارة والوزارة.

جرب أن تطبق هذه الفلسفة فى البيت وفى العمل وترد دائماً على زوجتك أو رئيسك بكلمة نعم أو كلمة (آه) بالعامية وتطيلها مع تكرارها، فستصبح كالحمار، تحبك زوجتك وتتباهى بك وسط أصدقائها، فأنت الرجل المثالى من وجهة نظرها، وكيف لا تكون مثالى وأنت خادم مطيع، تسمع الكلام بدون تعليق. وأيضاً سيعجب بك رئيسك فى العمل وتنال رضاه وتحصل على الترقية فى أسرع وقت فأنت لن تنافسه فى أى زمان أو أى مكان، أو هكذا اعتقاده فهو لا يعلم أن النظام كله يجب الحمير ونسى أن فى داخل كل منا ثعلب مكير.

إن من صفات الحمار إطاعة الأوامر بدون تمرد أو تدمير، ومن صفاته أيضاً الصبر والعمل الشاق، يعمل بدون أن يسأل وبدون أن يفهم. كما كان الحمار

منذ قديم الزمان رمزا للغباء والمهانة والاحتقار. طبعاً لاشئ يهم من هذه الصفات أو الرموز مادمت تنال رضاء واستحسان رئيسك فى العمل وفى المنزل.

إذا كنت غيبياً فأنت فى نعمة لاتعلمها وإذا كنت ذكياً فأمامك الفرصة لأن تتغابى، لاتضيع وقتك، فمن اتبع هذا المذهب كثيرون، انظر حولك لمعارفك وأصدقائك، تصفح الجرائد وابحث عن أصحاب المال والسلطة والقوة والنفوذ والشهرة ستجد أكثرهم إما غيبى أو متغابى، لا تتحجج بالبحث عن معلم فكل من حولك أساتذة ومعلمين، لاتندب حظك فالطريق أمامك ممهد وممدود، ليس المطلوب منك إلا الصبر على الخطوات الأولى من الطريق وستجد نفسك بعد ذلك تجرى فى هذا الطريق كالرهبان، دع الكرامة والعزة والإباء وهذه المصطلحات العرجاء التى ليس لها معنى واتركها فى أول الطريق لأنها حمل ثقيل سوف تعوقك فى المضى إلى العلا والمجد والشهرة.

إذا كان المرح والفكاهة سلاحاً نفسياً جيد للانعزال عن موقف معين أو الهروب من موقف حرج أو الاستكانة فى زمن ردى فإن كثيراً من الأحيان ومع الضغط النفسى الشديد والشعور القوى بالمهانة والظلم والإجباط قد تكون البلادة والتغابى هما خير وسيلة للدفاع عن الذات، كما أن فى بعض الظروف يقينا الموقف السلبى بالهروب من الانفعال الذى قد يدمر ذاتنا أو يدفعنا إلى تدمير من حولنا.

وأخيراً.... (كن حماراً.... وعش سعيداً).

obeikandi.com

خاتمة

نظرا لأن لكل فرد بصمة متميزة منفردة، فى جيناته وفى شخصيته، فقد اختلفت الفلسفات وتعددت الاتجاهات والأهواء، فلكل إنسان الفلسفة الخاصة به وضعها وسار على هداها، ونتيجة للتطور فى نظم الاتصالات والمواصلات تأثرت الفلسفة الفردية بالثقافات الأخرى المتناثرة على كوكبنا الأرضى فزاد الحمل على الإنسان الحديث. اندثر الإنسان القديم المرتبط بمكان واحد وزمان محدود وتاريخ قصير، أما الآن فقد أتاحت وسائل الاطلاع المرئية والمسموعة قدر هائل من المعلومات والأفكار تأثر بها ذو الفكر وظل من أراح باله وعقله فى غيب عما يدور حوله، سعيداً بمحدودية أفكاره وضيق أفقه خصوصاً فى بعض المجتمعات المتجمدة التى تحدد للفكر مجالاً مغلقاً غير مرن للتطور والتحديث.

إذا عاش الفرد داخل المجتمع وأن يصنع إرادته على نفس طريق إرادة الكل الممثل للمجتمع، حينئذ سيشعر الفرد بالانتماء، لانعنى الانتماء الذى تنصهر فيه الشخصية الفردية مع شخصيات الآخرين وتذوب تماماً فيصبح الفرد منصاع، تتقاذفه أهواء الآخرين ويضيع كيانه الخاص وسط الأهواء المختلفة عن أهدافه، بل نتطلع أن ينتمى الفرد للمجتمع وفى نفس الوقت يظل مالكاً لشخصيته المميزة، سائراً لتحقيق أهدافه بجانب الأهداف العامة للمجتمع الذى يعيش فيه. بمزيد من الديمقراطية والمرونة فى التفكير (Open-Mind) نستطيع أن نأثر فى المجتمع ونتأثر به بدون أن نجرح أو يصبينا أذى.

نحن لاندعو فى هذا الكتاب إلى السلبية والهروب من الصراع متعللين بالسلام والمحبة بل ندعو للتمتع بالكفاح من أجل أهداف سامية نضعها وفقاً لإمكاناتنا وشخصياتنا كما نتمتع بصراع العوائق التى تقابلنا أثناء رحلة الحياة. نقاوم ونرد ولانبداً بالصراع، قد يكون الهجوم خير وسيلة للدفاع ولكن نستطيع تقوية دفاعنا

بالإيمان والإرادة والصبر والقوة الداخلية النابعة من فهمنا لذاتنا وثقتنا بأنفسنا. مع الصراع يوجد مسالك أخرى من التفاوض أو من التفاوضى فى بعض الأحيان، ولكن يجب أن يكون تفاوض القوى وتفاوضى المتعالى عن تفاهات الأمور لاتفاوضى الضعيف المستكين.

يفلسف بعض الناس الحكمة من الصراع بأنه حتمى لرقى الحضارة البشرية، فالسكون والاستقرار وعدم التغير معناه الموت والتحلل، فالصراع واجب من أجل الحياة، لقد قدر علينا الصراع، فلنعش فيه وبه، ولكن حذار أن نواصل الصراع طوال الوقت، قد يحتاج الأمر إلى هدنة لالتقاط الأنفاس وشحن بطارياتنا النفسية، هدنة لا تحجبنا على الصراع ولكن تقوينا عليه، نغيا كما قال الفيلسوف الألماني نيتشه: «يجب على الإنسان أن يبنى بيته عند قمم الجبال وفوهات البراكين وسفوح الزلازل.. يجب على الإنسان أن يعيش فى خطر، لا أن يعيش فى هدوء، كأنه ميت ينتظر الفناء».

تباين العوامل التى تأثر فى شخصية الإنسان وسلوكه والتى تأثر فى قدره ومستقبله، الوراثة من الأسلاف عامل والبيئة المحيطة عامل آخر، الموجات الكهرومغناطيسية التى تغطى الكون كله عامل هام لم يأخذ قدره من الدراسة والتحليل، الدورات الزمنية الكثيرة والتى يمكن استنباطها من التسلسل التاريخى للأحداث عامل مركب نظراً لتعدد الدورات بأنواعها المختلفة. عوامل كثيرة متشابكة ومعقدة مثل بكرة الخيط التى انسلت وتداخلت بطريقة عشوائية. مع مرور الزمان ومع التقدم التكنولوجى الحديث فى كل الأنظمة الحياتية أصبح التشابك بين العديد من البكر المنسل.

تعددت العوامل بتعدد الثقافات والخبرات المكتسبة المتنوعة عبر الزمان الماضى. وفى الزمن الحديث زادت رقعة البيئة المحيطة لكثير من الناس لتشمل الكرة الأرضية بأكملها، فمن يملك المال يستطيع أن يغير بيئته ويتعرف على ثقافات أخرى غير ثقافته الموروثة، وقد تنصهر بعض الثقافات لتولد ثقافات

أخرى جديدة إذا امتدت موجة العولمة وتلاحم العالم للعيش فى قرية صغيرة اسمها كوكب الأرض.

أرجو أن تكون جرعة المهدئات والمنشطات التى يحتويها هذا الكتاب قد أدت مفعولها بدون آثار جانبية. متماشياً مع التضاد الموجود فى النظام الكونى احتوت الجرعة على مهدئات فلسفية ونفسية للإنسان المحبط من تعب الحياة ومن الصراع الذى نعيش فيه فى كل لحظة، مع الذات ومع الطبيعة.. ومع المجتمع.. أما المنشطات فهى ضرورية لبذل مزيد من الجهود والنشاط فى مجالات الأسرة والعمل والأصدقاء والأنشطة الأخرى ومن خلال نظام اجتماعى جيد ومدرّس لتحقيق أهدافنا ورغباتنا التى تفيد ولا تضر للحصول على قدر أكبر من السعادة.

* * *

المراجع

المراجع العربية:

- ١ - «فخ العولمة - الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية» هانس بيتر مارتين وهارالد شومان - ترجمة د. عدنان عباس علي - عالم المعرفة - أكتوبر ١٩٩٨.
- ٢ - «صدام الحضارات - إعادة صنع النظام العالمي» - صامويل هنتجون - ترجمة طلعت الشايسطور - ١٩٩٨.
- ٣ - «الهندسة الوراثية - الأمل والألم» - م. عبد الباسط الجمل - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨.
- ٤ - «الحضارة» د. حسين مؤنس - عالم المعرفة - سبتمبر ١٩٩٨.
- ٥ - «المدير الفعال للقرن ال ٢١» - د. سيد الهوارى - مكتبة عين شمس - ١٩٩٨.
- ٦ - «عالم يفيض بسكانه» - روى كالن - ترجمة ليلي الجبالي - عالم المعرفة - سبتمبر ١٩٩٦.
- ٧ - «العودة إلى الإيمان» - هنرى لنك - ترجمة د. ثروت عكاشة - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٦.
- ٨ - «الإدارة المالية» - منهج اتخاذ قرارات - د. سيد الهوارى - مكتبة عين شمس - ١٩٩٦.
- ٩ - «الفيلسوف المسيحي والمرأة» - د. إمام عبد الفتاح امام - مكتبة مديولى - ١٩٩٦.
- ١٠ - «الفكر الشرقى القديم» - جون كولر - ترجمة كامل حسين - عالم المعرفة - يوليو ١٩٩٥.
- ١١ - «الصراع على القمة» - لستر تارو - ترجمة أحمد بليغ - عالم المعرفة - ديسمبر ١٩٩٥.
- ١٢ - «المتنطاحون - المعركة الاقتصادية القادمة بين اليابان وأوروبا وأمريكا» - لستر ترو - ترجمة د. محمد فريد - دار الساقى - بيروت - ١٩٩٥.
- ١٣ - «الحاسب والذكاء الاصطناعى» - د. محمد فهمى طلبه وآخرين - مجموعة كتب دلتا - ١٩٩٤.
- ١٤ - «غزو السعادة» - برتراند راسل - ترجمة سمير شيخانى - دار الأمير - ١٩٩٤.
- ١٥ - «مقدمة فى علم التفاوض الاجتماعى والسياسى» - د. حمسن وجيه - عالم المعرفة - أكتوبر - ١٩٩٤.
- ١٦ - «فن التفاوض» - ويليام أورى - ترجمة د. نيفين غراب - الدار الدولية للنشر والتوزيع - ١٩٩٤.
- ١٧ - «الفلسفة ما قبل عصر الفلسفة» - د. محمد عبد الرحمن مرحبا - مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر - ١٩٩٤.
- ١٨ - «النهاية الكونية وأثرها فى مسار الكون» - فرانك كلوز - ترجمة د. مصطفى إبراهيم - عالم المعرفة - نوفمبر ١٩٩٤.

- ١٩ - «الطاغية - دراسة فلفنيه لصور من الاستبداد السياسى» - د.امام عبد الفتاح - عالم المعرفة - مارس ١٩٩٤.
- ٢٠ - «دع القلق وابدأ الحياة» - داييل كارينجى - مكتبة الهلال - ١٩٩٤.
- ٢١ - «نشوء وسقوط القوى العظمى» - بول كيندى - ترجمة مالك البديرى - الأهلية للنشر - الأردن - ١٩٩٤.
- ٢٢ - «الاسطورة والزراة» - سيد القمنى - سينا للنشر - ١٩٩٣.
- ٢٣ - «نظرات حول الإنسان» - روجيه جارودى - ترجمة د. نجى هويدى - المجلس الاعلى للثقافة - ١٩٩٣.
- ٣٤ - «سيكولوجية السعادة» - مايكل ارجايل - ترجمة د.فصل عبد القادر - عالم المعرفة - يوليو ١٩٩٣.
- ٢٥ - «علم النفس الاجتماعى» - وليم لامرت وولاس لامبرت - ترجمه د.سلوى الملا - دار الشروق - ١٩٩٣.
- ٢٦ - «الإنسان وقضاياه النفسية والاجتماعية» - د. سعد المغربى - الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٣.
- ٢٧ - «المعتقدات الدينيه عند الشعوب» - جفرى بارندر - ترجمة د.امام عبد الفتاح - عالم المعرفة - مايو ١٩٩٣.
- ٢٨ - «الحب والحرب والحضارة والموت» - سيجموند فرويد - ترجمه د.عبد المنعم الحفنى - دار الرشيد - ١٩٩٢.
- ٢٩ - «قصة الحضارة» - ول ايريل ديورانت - ترجمة د. زكى نجيب محفوظ - دار الجبل - ١٩٩٢.
- ٣٠ - «دائرة معارف الحاسب الالكترونى» - د.محمد فهمى طلبة وآخرين - مجموعة كتب دلتا - ١٩٩١.
- ٣١ - «الخالدون مائه أعظمهم محمد رسول الله» - مايكل هارث - ترجمه أنيس منصور - المكتب المصرى الحديث - ١٩٩١.
- ٣٢ - «المفاوضات الدولية» - د. محمد بدر الدين زايد - الهيئة العامة للكتاب - ١٩٩١.
- ٣٣ - «الإنسان والجغرافيا» - أثر الجغرافيا وتأثيرها بيكولوجية الفرد - د. كريمين نصار - جردس برس - لبنان ١٩٩١.
- ٣٤ - «الأمير» - نقولا ميكافيللى - ترجمة على الجوهرى - مكتبة مدبولى - ١٩٩٠.
- ٣٥ - «سيكولوجية الخوف» - يوسف ميخائيل سعد - نهضة مصر - ١٩٩٠.
- ٣٦ - «الدافعية والأنفعال» - ادوارد موراي - ترجمة د. أحمد سلامة - دار الشروق - ١٩٨٨.
- ٣٧ - «قوتك فى ذاتك» - د.طالب الحفاجى - دار المريخ - ١٩٨٦.

- ٣٨ - «قصة الأنتروبولوجيا - فصول في تاريخ علم الإنسان» د. حسين فهميم - عالم المعرفة - فبراير ١٩٨٦.
- ٣٩ - «مذاهب فلاسفة المشرق» - د. عاطف العراقي - دار المعارف - ١٩٨٣.
- ٤٠ - «الإنسان يبحث عن المعنى» - فيكتور فرانكل - ترجمة د. طلعت منصور - دار المعلم - ١٩٨٢.
- ٤١ - «علم النفس الفسيولوجي» - د. أحمد عكاشة - دار المعارف - ١٩٨٢.
- ٤٢ - «شخصية مصر» - د. جمال حمدان - عالم الكتب - ١٩٨٠.
- ٤٣ - «الإنسان - ذلك المجهول» - الكيميس كاريل - ترجمة شفيق فريد - مكتبة المعارف - ١٩٨٠.
- ٤٤ - «العقل والمعايير» - اندريه لالند - ترجمة د. نظمي لوقا - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٩.
- ٤٥ - «التفكير المستقيم والتفكير الأعوج» - روبرت ثاولس - ترجمة حسن الكرمي - عالم المعرفة - أغسطس ١٩٧٩.
- ٤٦ - «التكيف النفسي» - د. مصطفى فهمي - دار مصر للطباعة - ١٩٧٨.
- ٤٧ - «الجغرافية الاجتماعية» - د. يسرى الجوهري - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٨.
- ٤٨ - «قوة الإرادة» - يوسف ميخائيل أسعد - مكتبة غريب - ١٩٧٥.
- ٤٩ - «كيف تفهم نفسك وتفهم الآخرين» - هنري كلاي لند جرف - ترجمة شفيق فريد - مكتبة الخانجي - ١٩٧١.
- ٥٠ - «هيجل - المثالية المطلقة» - د. زكريا إبراهيم - مكتبة مصر - ١٩٧٠.
- ٥١ - «نشوء الكون» - جورج جاموف - ترجمة إسماعيل مظهر - مكتبة النهضة - ١٩٦٠.
- ٥٢ - «رباعيات الخيام» - ترجمة أحمد رامي - مكتبة الخانجي - ١٩٦٠.
- ٥٣ - «الدوافع النفسية» - د. مصطفى فهمي - مكتبة مصر - ١٩٩٦.
- ٥٤ - «مناهج البحث في علم النفس» - ث.ج. أندروز - دار المعارف - ١٩٥٩.
- ٥٥ - «الذكاء» - د. فؤاد البهي السيد - دار الفكر العربي - ١٩٥٩.
- ٥٦ - «مشكلات الحياة الانفعالية» - سرجيون أنجلش وجيرالد بيرسون - مؤسسة المطبوعات الحديثة - ١٩٥٨.
- ٥٧ - «فلسفة اليوجا» - يوجي راما شاراكا - ترجمة عريان يوسف.
- ٥٨ - «مشكلة الإنسان» - د. زكريا إبراهيم - مكتبة مصر.
- ٥٩ - «مشكلة الفلسفة» - د. زكريا إبراهيم - مكتبة مصر.
- ٦٠ - «ألبير كامى وأدب التمرد» - جون كروكشانك - ترجمة جلال العشري - دار الوطن العربي.

المراجع الاجنبية:

1. «Getting to Yes - Negotiating Agreement Without giving In»- Roger Fisher and William Ury - Benguin Books - 1992.
 2. «Macroeconomic Analysis»- Edward Shapiro - Harcourt Inc. - 1982.
 3. «Economic Analysis of Projects»- Lyn Squire and Herman G. Van der Tak - World Bank Research Publication - 1981.
 4. «Planning in Developing Countries - Theory and Methodology»- Unitar-1980.
 5. «Introduction to Financial Management»- O. Maurice Joy-Richard D. Irwin Inc. - 1977.
 6. «Economic Theory and Operations Analysis» - Pentice Hall - 1977.
 7. «Probability & Statistics for Engineers» - Irwin Miller and John Freund - Prentice - Hall Inc. - 1977.
 8. «Human Development» - Grace J. Craig - Prentice Hall Inc. - 1976.
 9. «Concise Encyclopedia of Geography»- C.J. Tunney - Purnell Publishers- 1976.
 10. «Time Series» - M.G. Kendall - Charles Griffin & Co. Ltd. - 1973.
 11. «Personality and Social System» - Neil J. Smelser and William T. Smelser- John Wiley and Sons, Inc. - 1970.
 12. «The Theory of Probability»- B. Gnedenko - MIR Publishers- 1969.
 13. «The Theory of Financial Management»- Ezra Solomon - Columbia University Press - 1969.
 14. «Microcosm - Structural, Psychological and Religious Evolution in Groups» - Philip E. Slater - John Wiley & Sons, Inc. - 1966.
- «Astrology» - Jeff Mayo - The English Universities Press Ltd.- 1964.